Soroud (10) (2026) : 241 - 276

al-dirāsāt al-tārīḫiyya al-maktūba bi-l-ʿarabiyya ḥawla al-ṣaḥrāʾ al-maġribiyya ḫilāl al-fatra al-muʿāṣira wa-l-rāhina: qirāʾa ʾawliyya fī l-ḥaṣīla wa-l-wāqiʿ wa-l-āfāq

Historical Studies Written in Arabic on the Moroccan Sahara during the Contemporary and Current Periods: A Preliminary Review of Outcomes, Reality, and Prospects

الدراسات التاريخية المكتوبة بالعربية حول الصحراء المغربية خلال الفترة المعاصرة والراهنة: قراءة أولية في الحصيلة والواقع والآفاق

عادل بن محمد جاهل
باحث في الدراسات الصحراوية والأفريقية

Abstract: This study examines the trajectory of historical research written in Arabic on the Moroccan Sahara during the contemporary and present periods. It assesses scholarly output, evaluates the current state of research, and considers future prospects for development in this field. The research traces the evolution of historical writing from the colonial legacy to modern scholarship, highlighting how knowledge about the Sahara has been shaped at the intersection of local memory, national narratives, colonial discourses, and competing interpretations. Emphasizing the methodological and analytical approaches of researchers, the study evaluates both the strengths and limitations of existing works. It also identifies gaps in historiography and the challenges faced by scholars, including restricted access to sources and the impact of political and cultural contexts. By critically examining the production of historical knowledge, the study aims to deepen understanding of the Moroccan Sahara's past and its role in shaping regional and national identities. Finally, it advocates for more comprehensive and interdisciplinary research, encouraging collaboration among historians, geographers, and social scientists to enhance the study of the Sahara and its historical significance.

Keywords: Historical studies written in Arabic, Moroccan Sahara, outcome, reality, prospects, contemporary and current period.

الملخص: يروم هذا البحث تحليل مسار الدراسات التاريخية المكتوبة بالعربية حول الصحراء المغربية خلال المرحلتين المعاصرة والراهنة، من خلال تقييم منجزها العلمي وتشخيص واقع البحث في هذا المجال واستشراف آفاق تطويره. ويهدف إلى تتبّع تطور الكتابة التاريخية من الإرث الكولونيالي إلى الإنتاجات الحديثة، مع إبراز كيفية تشكّل المعرفة حول الصحراء بين الذاكرة المحلية والسرديات الوطنية من جهة،

والخطابات الاستعمارية وروايات الخصوم من جهة أخرى. ويعتمد البحث منهجًا تحليليًا نقديًا قائمًا على قراءة مقارنة لمجموعة من المتون التاريخية المكتوبة بالعربية، كما يتناول الإشكالات المنهجية المرتبطة بندرة المادة العلمية وصعوبة توثيق بعض التطورات الاجتماعية والثقافية داخل الفضاء الصحراوي، مع التأكيد على ضرورة توسيع قاعدة المعطيات التاريخية المتاحة. وتتمثل أهم النتائج في إبراز الدور المركزي الذي أدّته الدراسات التاريخية المغربية بالعربية في تفكيك الصور النمطية التي كرّستها السردية الكولونيالية، وكشفها عن تنوع المجال الصحراوي وغنى موروثه الثقافي والاجتماعي والديموغرافي. كما يخلص البحث إلى أن قضية الصحراء تُعدّ في جوهرها صراعًا بين سرديات متنافسة تتداخل فيها الأبعاد التاريخية والجيوسياسية. وفي الخلاصة، يؤكد البحث أهمية اعتماد مقاربات متعددة التخصصات وتعزيز الدراسات الميدانية، بما يسهم في بناء فهم أعمق لهوية الصحراء المغربية في الزمنين المعاصر والراهن، وترسيخ حضورها داخل الميدان التاريخي المغربي.

الكلمات المفاتيح: الدراسات التاريخية، الصحراء المغربية، الحصيلة، الواقع، الآفاق، الفترة المعاصرة والراهنة.

تقديم

يحسن بنا، في بداءة هذا البحث، الإشارة إلى أن منطقة الصحراء المغربية تعد إحدى أهم المجالات، التي استأثرت باهتمام المؤرخين وعموم الباحثين؛ نظرًا لما تزخر به من عمق تاريخي وجذور حضارية ضاربة في القدم، فضلًا عما تمثله من مكانة استراتيجية بالغة الأهمية على المستويين الوطني والإقليمي.

والحال، أن هذه الرقعة الجغرافية شكلت عبر التاريخ حلقة وصل أساسية بين المغرب وباقي أفريقيا جنوب الصحراء، ومعبرًا للقوافل التجارية، ومسرحًا لتفاعلات حضارية شتى، أسهمت بقدر كبير في بناء ملامح الهوية المغربية وتثبيت أبعادها الأفريقية.

ولا مراء، في أن العقود الأخيرة شهدت تراكمًا متزايدًا في الإنتاج الأكاديمي المرتبط بتاريخ هذه المنطقة وتراثها، سواء داخل المغرب أو خارجه، غير أن هذا الإنتاج ظل يتأرجح بين مقاربات متباينة ومتعارضة أحيانا؛ فمنها ما انطلق من رؤية وطنية صريحة، تهدف إلى إبراز مغربية الصحراء وتثبيتها في سياقها التاريخي والسياسي والقانوني، ومنها ما تأثر بخلفيات سياسية أو إيديولوجية أو غايات فكرية ضيقة، أملت توجهاته وأساليبه، سواء انطلاقًا من إرث استعماري قديم، أو من اعتبارات آنية، مرتبطة بالصراع الإقليمي حول المنطقة.

والملاحظ، في هذا الصدد، أن هذا التباين قد أفضى إلى غنى في المادة البحثية وتنوع اتجاهاتها، بيد أنه في الوقت عينه أسهم بجلاء شديد في خلق فجوات معرفية وصعوبات منهجية، حالت من غير صياغة سردية علمية متوازنة وذات منطلقات فكرية مقبولة.

ومن ثم، تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة "أولية" لواقع الدراسات التاريخية حول منطقة الصحراء المغربية، من خلال تتبع مناهجها ومضامينها واتجاهاتها الكبرى، مع الوقوف عند عناصر القوة المتمثلة في توسيع دائرة المصادر وتثمين الروايات الشفهية، وكذلك عناصر القصور التي تكمن في غلبة الطابع الوصفي، أو في الارتهان للمواقف والتأويلات المسبقة والصور النمطية المرسخة.

كما يروم البحث، إلى جانب ما سلف، فتح آفاق جديدة أمام هذا الحقل المعرفي، عبر الدعوة إلى اعتماد مقاربات علمية مجردة وأكثر شمولية وتكاملًا، تزاوج بين أدوات وتقنيات علم التاريخ ومكتسبات علوم أخرى مساعدة أو متصلة من قبيل: علم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والديموغرافيا، والجغرافيا.

ومن شأن هذا التداخل المعرفي، أن يسهم بصورة لا لبس فيها في دراسة البنيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عرفتها المنطقة، عبر مختلف الفترات التاريخية، والكشف عن ديناميتها الداخلية وعلاقاتها المتشابكة مع محيطها القريب والبعيد.

ولا يكتمل هذا الجهد إلا من خلال إيلاء مكانة مركزية للوثائق والمستندات والمخطوطات المحلية المتوافرة، والروايات الشفهية المتواترة، باعتبارها شاهدًا بارزًا على تطورات المجال الصحراوي، إلى جانب الأرصدة الوثائقية والمصادر الكولونيالية المتاحة، والأدبيات والنتاجات الثقافية المتنوعة الأخرى، التي ينبغي التعامل معها بوعي نقدي متبصر، يراعي سياق إنتاجها وحدود موضوعيتها ونزاهتها.

وبهذا النهج، وانطلاقا من هذا المنظور، أمكن الانتقال من مقاربة يغلب عليها الطابع "التبريري" أو "الاتهامي" إلى كتابة تاريخية رصينة وذات جدوى، تنفتح على قراءة موضوعية تنصف هذا المجال، وتبرز خصوصيته داخل النسيج المغربي والإقليمي، وتسهم في ترسيخ وعي علمي جديد بأهمية الصحراء المغربية، باعتبارها مكونًا أصيلًا من مكونات الهوية الوطنية، وجسرًا للتفاعل الحضاري بين المغرب وعمقه الأفريقي.

مدخل منهجي: دواعي اختيار الموضوع وطريقتنا في العمل

1: دواعي اختيار الموضوع

يعود اختيار هذا الموضوع إلى جملة من الاعتبارات الأكاديمية، التي تؤكد الأهمية الاستراتيجية والفكرية للمنطقة، وتبرز في الوقت ذاته الحاجة الماسة إلى مقاربة علمية موضوعية لدراسة تاريخها وما يتصل به.

• **أولًا: الأهمية التاريخية والسياسية للصحراء المغربية؛** باعتبارها جزءً لا يتجزأ من التراب الوطني المغربي، وما يكتنفها من رهانات استراتيجية وديموغرافية وثقافية، تجعل دراسة الكتابة التاريخية حولها ضرورة ملحة لفهم تطور الخطاب الوطني والمعرفة التاريخية المتعلقة بالمنطقة؛ بحيث إن الصحراء شكلت دومًا ملتقى للتفاعلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، واضطلعت بأدوار مهمة في بناء الدولة المغربية على مر العصور التاريخية؛

• **ثانيًا: الحاجة الماسة إلى تفكيك الإرث الكولونيالي في الدراسات التاريخية؛** إذ إن المرحلة الاستعمارية كانت مليئة بالصور والمقولات التي حاولت فصل الصحراء عن المغرب، ونسج سرديات موجهة لخدمة المشروع الاستعماري. وفي هذا المقام، ارتكزت هذه الكتابات المختلفة القيمة والحصيلة على تصوير المنطقة باعتبارها معزولة ومليئة بالقبائل المتفرقة، بغاية تبرير السيطرة الاستعمارية على أراضيها واستغلال مواردها. ولا ريب، أن دراسة هذه الكتابات تساعد على إعادة بناء سردية تاريخية متوازنة وموضوعية، تجسد الواقع التاريخي الفعلي، وتكشف عن مدى تأثير الأيديولوجيات الاستعمارية على إنتاج المعرفة حول الصحراء؛

• **ثالثًا: تطور البحث الأكاديمي المغربي حول الصحراء المغربية في العقود الأخيرة؛** خاصة مع تيسير الولوج إلى بعض الأرشيفات الأجنبية، وتبني مناهج متعددة التخصصات، مثل: التاريخ، والأنثروبولوجيا، والجغرافيا، وعلم الاجتماع، والديموغرافيا، يتيح فرصة لإعادة قراءة الأحداث التاريخية وتفسيرها من منظور علمي موضوعي، بعيد كل البعد عن الانحيازات السياسية أو الأيديولوجية. كما أتاح هذا التطور العلمي الملموس، التركيز على أبعاد وموضوعات جديدة، تشمل الروابط التاريخية بين الصحراء والمغرب، ودور القبائل والزعامات المحلية في حفظ الاستقرار الاجتماعي، فضلًا عن تحليل أثر السياسات الاستعمارية على التحولات الثقافية والاجتماعية للمنطقة.

2: طريقتنا في البحث ووسائله

نود في البداءة توضيح بعض النقاط التي من شأنها تسليط الضوء على طبيعة هذا البحث، وطريقتنا في إنجازه، والحدود والضوابط التي وضعناها له، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ: تحديد مفهوم الفترة المعاصرة والراهنة

نظرًا لاختيارنا الفترة المعاصرة والراهنة موضوعا لهذا البحث، أصبح من الضروري توضيح المجال الزمني الذي يشمل بداءتها ونهايتها، بما يسهم في تأطير الدراسة وتنظيمها بشكل منهجي. ومعلوم، أن مشكلة التحقيب التاريخي لم تحسم بشكل نهائي بين الباحثين، رغم النقاشات المستمرة حولها داخل الأوساط الأكاديمية.

ومع ذلك، ثمة شبه إجماع على أن التحقيب الأوروبي الكلاسيكي لا يتوافق تمامًا مع التحقيب المغربي، وأنه أصبح إلى حد كبير متجاوزًا في تفسيراته؛ إذ إن المجالات الزمنية التي كان يصنف بعضها ضمن التاريخ المعاصر، مثل القرن الميلادي التاسع عشر، لم تعد تعتبر معاصرة بالمعنى المتداول اليوم، نتيجة التطورات العميقة التي عرفتها المجتمعات الأوروبية والمغربية على حد سواء.

ويجدر بالذكر، أن التحديد الزمني يظل مسألة إجرائية ليس إلا، تهدف بالأساس إلى تنظيم مجالات البحث لدى الباحثين، ومنحهم إطارًا يسمح بتصنيف الأحداث والظواهر التاريخية بطريقة منهجية. وغالبًا ما يضع الباحثون لأنفسهم تحديدات موضوعاتية أو مونوغرافية، قد تختلف في حدها الزمني عن التحقيبات العامة، بما يعبر عن الطبيعة الديناميكية والمتشابكة للتاريخ.

وفي هذا المضمار، أصبح من المقبول أن يكون هناك تداخل بين الفترات التاريخية، خاصة عندما تستمر بعض الظواهر والروابط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين مرحلة تاريخية وأخرى، كما هو الحال بين العصر الحديث والفترة المعاصرة وحتى الراهنة.

وبناء على هذه الاعتبارات، تُستعمل مفاهيم الفترة المعاصرة والراهنة في المغرب للدلالة على مرحلتين تاريخيتين متكاملتين.

فالفترة المعاصرة تُحيل، في الغالب، على المرحلة الممتدة من القرن الميلادي التاسع عشر إلى سنة 1956م؛ وهي سنوات تزايد فيها الاحتكاك بالقوى الأوروبية، وبرزت خلالها محاولات الإصلاح المخزني، وتعمّقت الأزمات المالية والعسكرية التي مهّدت لفرض الحماية ثم لظهور الحركة الوطنية.

أما الفترة الراهنة؛ فتنطلق مع استعادة الاستقلال وتمتد إلى اليوم، وتمثّل زمن بناء الدولة الحديثة، وإعادة تنظيم مؤسساتها، وتحديث الاقتصاد والمجتمع، في ظل تطورات سياسية وثقافية متواصلة.

ويتيح التمييز بين هاتين المرحلتين فهم تطوّر المغرب من مملكة تواجه الضغوط الخارجية في القرن الميلادي التاسع عشر إلى دولة معاصرة تعمل على ترسيخ نموذجها السياسي والتنموي في الحاضر.

وفي الوقت عينه، لا يغفل هذا الاختيار وجود تداخلات زمنية، نتيجة استمرار السياقات التاريخية وامتداد آثار الأحداث السالفة، وهو ما يتيح فهما أكثر واقعية للتطورات التي شهدتها الصحراء المغربية، ويعطي الباحث مرونة أكبر في معالجة الظواهر التاريخية ضمن سياقها الطبيعي والمتصل.

ب: طريقة إنجاز البحث ووسائله

إن تناول ما كتب عن تاريخ الصحراء المغربية خلال الفترة المعاصرة والراهنة من طرف الباحثين المغاربة وغيرهم، على تنوع مشاربهم وتعدد تخصصاتهم، وفي شتى فضاءات النشر، يظل عملاً مفتوحًا على الكثير من الصعوبات إذا لم يضبط بإطار منهجي واضح المعالم. فالبحث، في صورته الشمولية، قد يغدو مرهقا قليل الفائدة، لذلك ارتأينا وضع حدود وضوابط محددة تجعله أكثر قابلية للإنجاز وأكثر مردودية للباحثين.

وفي هذا الباب، تجنبنا إدراج بعض الأنماط من الإنتاجات العلمية التي تستلزم وقتا وجهدا لا يتسع له نطاق هذا "العمل الأولي"، أو قد تؤدي إلى تضخيمه بما يتجاوز طاقة النشر في كتاب جماعي محدود الصفحات.

ولهذا السبب، اقتصرت عنايتنا على الدراسات والكتب المخصصة للفترة المعاصرة والراهنة من دون غيرها، وأقصينا الرسائل الجامعية والأطروحات لكونها تقع في منزلة وسطى بين "المطبوع" و"المخطوط"، كما استبعدنا ما ينشر في الدوريات والجرائد والصحف اليومية لما يطرحه من إشكالات كثيرة، تتعلق بالتبعثر والتعدد، فضلًا عن صعوبة الحصول على أعدادها كاملة.

ومع ذلك، أفضت جهودنا إلى تجميع حصيلة معتبرة من العناوين تجاوزت المائة. ونحن ندرك غاية الإدراك أن كثيرا من هذه المواد لم يتسن لنا الوصول إليها؛ بحكم أن مثل هذا العمل لا يكتمل إلا بتضافر جهود جماعية، ومبادرات من الباحثين أنفسهم، العارفين بمواضع وخبايا نشر إنتاجاتهم.

ونتيجة ذلك، فإن غايتنا ههنا أن يكون هذا الجهد خطوة "أولية" ومفتاحا لأعمال لاحقة تغطي مراحل تاريخية أخرى، كما نأمل أن يشكل دعوة للباحثين إلى التواصل معنا قصد إغناء هذه المحاولة بما فات منها أو تقويم ما اعترى بعض جوانبها.

ويظل طموحنا أن نقوم في المستقبل، بنشر هذه المادة، بعد مراجعتها وتحيينها، في كتاب مستقل.

المحور الأول: تطور الكتابة التاريخية حول الصحراء المغربية، من المرحلة الكولونيالية إلى الزمن الراهن

عرفت الكتابة التاريخية حول الصحراء المغربية، منذ بداءات المرحلة الكولونيالية وإلى اليوم، مسارًا متنوعًا ومعقدًا، ارتبط من جهة بالرهانات السياسية والاستراتيجية، ومن جهة أخرى بتطور مناهج البحث التاريخي واتساع قاعدة المصادر والوثائق.

ويمكن تمييز هذا المسار عبر ثلاث محطات رئيسة: مرحلة الكتابة الكولونيالية، ثم مرحلة الاستقلال، وأخيرا الكتابة التاريخية في الزمن الراهن.

أولا: المرحلة الكولونيالية، التاريخ أداة للهيمنة

شرعت السلطات الاستعمارية مع بداءة التوسع الاستعماري في منطقة الصحراء المغربية، في إنتاج معرفة "وظيفية" عن المناطق الخاضعة والمجاورة؛ وذلك بغاية دعم مراميها السياسية والاقتصادية والثقافية.

واستندت هذه المعرفة إلى تقارير البعثات العلمية التي كانت تجوب الصحراء وما إليها، بالإضافة إلى ملاحظات الرحالة الأوروبيين والعسكريين ورجال الإدارة الاستعمارية (خواكين كاتيي إي فولتش وخوسي ألباريث پيريث وخوليو سيربيرا بابييرا وإيميليو بونيي إي إيرناندو وفرانسيسكو بينس أركاندونيا، ...، الخ)[1]، ما أسفر عن

1 – للمزيد من التفاصيل، انظر: دراساتنا التالية:

– عادل بن محمد جاهل، "بين المعرفة والتنكر، الصحراء الأطلنتية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بعيون إسپانية (بعثة الجنرال خوليو سيربيرا بابييرا الاستكشافية نموذجًا"، في **مجلة سرود**، مجلة النقد الأدبي، العدد 5، شتاء 2020، صص.45 – 70.

– عادل بن محمد جاهل، "إضاءات حول مجال ومجتمع حوض وادي نون في العقد السادس من القرن الميلادي التاسع عشر بعيون الرحالة والمستعرب الإسپاني خواكين كاتيِيْ إِي فولتش الملقب بالقايْد إِسماعيل"، مقال ضمن الكتاب الجماعي المحكم الموسوم بـ: **حفريات في تاريخ وتراث الجنوب المغربي وأفريقيا جنوب الصحراء: أعمال مهداة للأستاذ الدكتور عبد الكريم مدون**، إشراف وتنسيق: عادل بن محمد جاهل والحنافي روصافي، تقديم: د. محمد المازوني، منشورات جمعية الجنوب المغربي للدراسات والأبحاث الاجتماعية، أكادير، ط.1، 2023، صص.128 – 171.

– عادل بن محمد جاهل، "الرحالة الأوروپيون ودورهم في كتابة تاريخ الصحراء المغربية الاجتماعي: رِحْلات الجنرال الإسپاني فرانسيسكو بينس أركاندونيا بين عامي 1907و1911م مثالا"، مقال ضمن كتاب جماعي محكم بعنوان: **قراءات في الرحلة من وإلى الصحراء وبلاد السودان**، الإشراف والتنسيق العلمي: د. عادل بن محمد جاهل، منشورات دار آريثيريا للنشر والتوزيع، الخرطوم، ط.1، 2024، صص.535 – 572.

قاعدة معرفية متشابكة بين الميداني والرسمي، لكنها كانت في معظمها موجهة لخدمة المشروع الكولونيالي أكثر من خدمة الفهم الموضوعي للواقع المحلي.

وكان الغرض من هذه الكتابات تحقيق دراسة علمية دقيقة للواقع المحلي، مع تكييف المعلومات بما يتناسب مع مصالح القوى الاستعمارية، التي كانت تسعى إلى تسهيل سيطرتها وهيمنتها على الأراضي والسكان.

وفي هذا الإطار، ركزت الدراسات على تصوير الصحراء باعتبارها مجالًا "معزولًا" عن بقية المغرب، تسوده بنى قبلية متناثرة وغير متجانسة، تفتقر إلى نظام سياسي مركزي؛ وهو ما سهل على القوى الاستعمارية تقديم نفسها كحاملة لـ "رسالة حضارية" أو "مشروع تنظيمي"، قادرة على فرض النظام والتنظيم على ما كان يصور على أنه فوضى طبيعية أو غياب للهيكلية السياسية.

كما هيمنت النزعة الإثنوغرافية والوصفية على كثير من المؤلفات الكولونيالية، حيث تم التعامل مع القبائل والسكان المحليين باعتبارهم "موضوعًا للدراسة" أو "عينات ميدانية"، بدلًا من الاعتراف بهم كفاعلين تاريخيين لهم دور في صياغة الأحداث والتحولات الاجتماعية والسياسية.

وهكذا، صورت الصحراء المغربية في بعض الكتابات (من قبيل تقارير خوليو سيربيرا بابييرا وفرانسيسكو كيروكا إي رودريكيث وفرانسيسكو بينس أركاندونيا، ...، الخ.) بوصفها فضاءً قاحلًا ممتدًا، تغمره القفار والبوادي والكثبان الرملية، أرضًا جرداءَ لا شجر فيها ولا ثمر، تلسعها شمس لاهبة ويخيم عليها طابع الوحشة والعزلة[2].

وكان ينظر إلى ساكنتها من الرحل باعتبارهم دائمي الترحال في سعي لا ينقطع وراء الكلأ والماء، من غير أن يؤسسوا مدنا أو يعمروا العمران؛ فظلوا مرتبطين، والحالة هذه، بنمط عيش بدوي، جعل من الجمل رفيقهم الدائم؛ يقتاتون من لحمه، ويشربون لبنه، وينسجون من وبره خيامهم ولباسهم، ويرتحلون على ظهره عبر الفيافي الواسعة.

– عادل بن محمد جاهل، "صورة الصحراء المغربية في عيون الرحالة وكتابات الغربيين: رحلة الأنثروبولوجي الإسباني إينريكي دالمونتي إي موريل سنة 1913م نموذجا: قراءة في السياق والمضامين)"، مقال ضمن كتاب جماعي محكم بعنوان: **الصحراء المغربية في الأدب والفنون البصرية**، تنسيق: سعاد مسكين، تقديم: أسماء الريسوني، مطبعة جزيرة التكنولوجيا، منشورات المدرسة العليا للأساتذة بمارتيل، تطوان، ط.1، 2023، صص.183 – 223.

2 – للمزيد من التفاصيل، انظر دراساتنا التالية:

– عادل بن محمد جاهل، "البحث الكولونيالي الإسباني حول مجتمع إفريقيا (الصحراء الأطلنتية نموذجًا): محاولة في التعريف والتركيب"، في مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي، العدد 51، مارس 2019، صص.65 – 84.

– عادل بن محمد جاهل، **التاريخ الاجتماعي والديموغرافي للصحراء المغربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين: دراسة في الأرشيف الإسباني**، جزءان، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر والراهن، جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، السنة الجامعية 2023م– 2024م، الجزء الأول.

ورافق هذا التوجه طمس "متعمد" للروابط التاريخية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي جمعت بين الصحراء والدولة المغربية على مدى قرون، في محاولة لإنتاج صورة "مصطنعة" عن الصحراء ككيان منعزل ومستقل عن المركز.

والظاهر، أن هذا التأثير تجاوز الكتابة التاريخية ليمتد إلى الخرائط، والوسائط الإعلامية، والمناهج التربوية، التي سعت جميعها لترسيخ تصور الصحراء كأرض "خالية" من التنظيم السياسي، وبالتالي تبرير التدخل الاستعماري وشرعنته.

وعززت هذه الممارسات الرواية الاستعمارية التي تصور القوى المحلية على أنها عاجزة عن إدارة شؤونها، ما يجعل الحضور الأوروبي_الفرنسي والإسباني_ ضرورة "حضارية" و"تنموية".

وعليه، فإن دراسة هذه الكتابات الاستعمارية وتحليل أبعادها السياسية والعلمية والإيديولوجية يعد مفتاحا رئيسا لفهم كيفية إنتاج المعرفة التاريخية والسياسية عن الصحراء المغربية، ومدى تأثير هذه المعرفة على تشكيل التصورات الغربية عن الصحراء المغربية، والتي لا تزال بعض آثارها مترسخة في المخيال الجمعي والسياسات الحديثة المتعلقة بهذه المنطقة.

ثانيًا: مرحلة الاستقلال: كتابة التاريخ في سياق بناء الدولة

مع حصول المغرب على استقلاله ونهاية نظام الحماية في منتصف القرن الميلادي العشرين (1956م)، باتت الحاجة ملحة لمواجهة الإرث الكولونيالي بكل تجلياته في الكتابة التاريخية، وتصحيح الصور النمطية والمغلوطة التي رسمها الاستعمار عن الصحراء المغربية وما إليها؛ فقد حاولت الدراسات الكولونيالية تصوير الصحراء كمجال معزول، تفتقر بنياته إلى التنظيم السياسي والمجتمعي؛ وهو ما أفرغ التاريخ المحلي من فاعليته وجعل "الحقائق" التاريخية المحلية عرضة للتشويه.

ومن هنا، برز جيل من المؤرخين والباحثين المغاربة الذين شرعوا في إعادة كتابة تاريخ المنطقة، مستندين إلى مصادر محلية ووثائق أرشيفية غميسة، في إطار المشروع الوطني لبناء الدولة المغربية وتأكيد وحدة التراب الوطني.

وركزت هذه المرحلة على إبراز الروابط التاريخية العميقة التي جمعت الصحراء بباقي جهات المغرب، وتوضيح أدوارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية عبر العصور المختلفة.

ومن أبرز محاور البحث في هذا الإطار:

• **دور القبائل الصحراوية في مقاومة التوسع الاستعماري**: حيث أظهرت الدراسات إسهام القبائل المحلية في التصدي للنفوذ الاستعماري، والدفاع عن أراضيها، مع إبراز استراتيجيات المقاومة وأشكال التنظيم الاجتماعي والسياسي الداخلي التي مكنتها من مواجهة الضغوط الخارجية. ومن بين أهم الأعمال التي تصدت لهذا الموضوع بشيء من العمق والتفصيل، نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب:

• محمد الغربي، **الساقية الحمراء ووادي الذهب**، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، ط.1، 1975.

• **حضور المؤسسة المخزنية في الصحراء**: فقد ركز الباحثون على دراسة نظام البيعة الذي كان يربط السلاطين بالقبائل الصحراوية، إضافة إلى تبادل المراسلات الرسمية، التي تمثل دليلا على استمرار نفوذ الدولة المغربية المركزية في هذه المنطقة، وإبراز العلاقة المتبادلة بين المركز والهامش على مر العصور التاريخية. ومن بين الكتابات التي تطرقت إلى هذه الموضوعات نذكر ما يلي:

• الشيخ محمد الإمام، **الجأش الربيط في الدفاع عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط**، تحقيق: محمد الظريف، وتقديم: ماء العينين ماء العينين، مطبعة المعارف الجديدة، ط.1، 2013؛

• محمد بن عزوز حكيم، **السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية**، مؤسسة بالنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط.1، 1981.

• **الشبكات التجارية والدينية العابرة للصحراء**: أظهرت الدراسات المتاحة أن الصحراء المغربية وما إليها كانت محورا مهما للطرق التجارية بين المدن المغربية الكبرى والبلدان الواقعة جنوب الصحراء، كما اضطلعت الشبكات الدينية والصوفية بدور كبير جدًا في ربط المجتمعات الصحراوية بالمراكز الثقافية والدينية الكبرى في المغرب وأفريقيا الغربية، ما يعبر بوضوح تام عن التفاعل المستمر بين الصحراء وبقية المغرب عبر التاريخ.

وتأسيسًا على ما تقدم توضيحه وتحليله، نسجل أن الكتابة التاريخية في هذه المرحلة كان هاجسها الرد على الكتابات الاستعمارية وتفنيد ادعاءاتها التي حاولت التقليل من أهمية الصحراء وإضعاف شرعية السيادة المغربية عليها.

كما حاولت هذه الدراسات، بكيفية أو بأخرى، بناء سرد تاريخي متماسك يبرز الصحراء كعنصر فاعل في التاريخ المغربي، مؤكدًا على وحدة التراب الوطني واستمرارية الدولة المغربية في ممارسة سلطتها على هذه الأقاليم منذ قرون.

وبوجه عام، أسهمت هذه المرحلة في إرساء قاعدة معرفية وطنية صلبة، يمكن الاعتماد عليها في تدبير الشأن السياسي والثقافي، مع إظهار أن تاريخ المنطقة جزء لا يتجزأ من تاريخ المغرب الممتد عبر الأزمنة.

ثالثًا: الكتابة التاريخية حول الصحراء المغربية في الزمن الراهن

عرفت الكتابة التاريخية حول الصحراء المغربية، خلال السنوات الأخيرة، تطورات نوعية من الأهمية بمكان، انعكست على مستوى المصادر، والمناهج، والمضامين، نتيجة لتضافر عدة عوامل متعلقة بالتطور الأكاديمي والانفتاح على المعطيات الجديدة؛ بحيث أسهم الوصول إلى الأرشيفات الأجنبية[3]، وخاصة الإسبانية والفرنسية، في منح الباحثين فرصة إعادة قراءة العديد من الأحداث والوقائع التاريخية غير المعروفة بما فيه الكفاية، بما يوفر رؤية أكثر دقة وشمولية للتاريخ الصحراوي.

ولا شك، أن هذا الانفتاح على مصادر وأرصدة وثائقية أجنبية، مكن بقدر كبير من تصحيح الكثير من المغالطات التي كانت شائعة في الدراسات السابقة، وكشف عن أبعاد جديدة للعلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والديموغرافية بين الصحراء والمغرب، مع تعزيز فهم الاستمرارية التاريخية للروابط بين المركز والهامش.

وبالإضافة إلى ذلك، اضطلعت مسألة تطور المناهج في التاريخ والأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا بدور مهم في إعادة قراءة الكتابة التاريخية حول الصحراء، حيث أصبح بالإمكان دراسة المنطقة من منظور متعدد الأبعاد، يشمل بنياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والديموغرافية.

ولا مشاحة، أن هذا النهج سمح بتحليل النظام القبلي، والعلاقات الداخلية بين القبائل، والأنشطة التجارية العابرة للصحراء، والشبكات الدينية والصوفية، بما يجسد الدور الفاعل للسكان المحليين في صياغة تاريخهم.

وبالمثل، فقد عبر هذا التطور، أيضًا، وبجلاء، على الاهتمام الجامعي المتزايد بالمنطقة، حيث تم تخصيص عدد كبير من الأطروحات والرسائل الجامعية لدراسة مختلف جوانب الصحراء المغربية، سواء من الناحية التاريخية، أو الاجتماعية، أو الثقافية، أو الاقتصادية.

---

3 – للمزيد، انظر بحثنا:

– عادل بن محمد جاهل، "الأرشيف الإسباني: مصدر أساسي لكتابة تاريخ الصحراء المغربية: محاولة للرصد والتعريف"، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان: **الصحراء في التاريخ الوطني: مغربية الصحراء من خلال الأرشيفات الأجنبية والوطنية والذاكرة**، تنسيق: محمد بوزنكاض ومحمد أحمد كين، منشورات المركز الوطني للبحث العلمي والتقني بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار بالرباط، وجامعة ابن زهر بأكادير، ط.1، 2024، صص.56 – 80.

وأسهمت هذه الدراسات بشكل متفاوت في بناء قاعدة معرفية متينة إلى حد ما تعتمد على مصادر متعددة، من أرشيفية وميدانية وشهادات محلية؛ مما أضاف بعدًا آخر للكتابة التاريخية حول الصحراء المغربية، ووفر منظورًا أكثر قربًا من الواقع المحلي.

ونتيجة لهذه التطورات الحثيثة، انتقلت الكتابة التاريخية من "الطابع الدفاعي" الذي كان يهيمن على الدراسات في مرحلة ما بعد الحصول الاستقلال إلى مقاربة أعمق وأكثر شمولية؛ بحيث أصبحت الصحراء المغربية فضاءً معرفيًا بارزًا، يسمح بفهم التفاعلات التاريخية بين المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء، بالإضافة إلى إبراز خصوصيات المجتمع الحساني وثقافته، بما يشمل العادات والتقاليد، والهياكل الاجتماعية، والشبكات التجارية والدينية.

وبناءً على ما تم ذكره وتأسيسًا عليه، أصبحت الكتابة التاريخية في هذه المرحلة أكثر توازنًا، تجمع بين البعد الوطني والدولي، وبين الدفاع عن السيادة وفتح آفاق البحث العلمي، مع التأكيد على أن الصحراء عنصر فاعل ومحوري في تاريخ المغرب الممتد عبر العصور.

المحور الثاني: تمثلات الصحراء في الخطاب التاريخي المغربي مقارنة بالروايات الاستعمارية والخصوم

عرفت الصحراء المغربية حضورًا بارزًا ومتواصلًا في الخطاب التاريخي الوطني، حيث كانت تصور باعتبارها امتدادًا طبيعيًا ومكونًا أصيلًا من المجال المغربي، يندمج فيه سياسيًا ودينيًا واقتصاديًا وثقافيًا وديموغرافيًا؛ فمنذ قيام الدولة المغربية بمختلف تجلياتها، سواء في العصر المرابطي (1054م– 1146م)، والموحدي (1130م– 1269م)، أو في العهد المريني (1244م– 1465م)، والسعدي (1517م– 1659م)، والعلوي (1640م–إلى الآن)، ظلت الصحراء تمثل قاعدة ارتكاز نحو العمق الأفريقي، وفضاءً استراتيجيًا لحماية الحدود الجنوبية، وتأمين طرق ومسالك التجارة.

وجسدت روابط البيعة التي كانت تقدمها القبائل الصحراوية للعرش المغربي، تجسيدًا عمليًا لهذه العلاقة العضوية، حيث شكلت عقدًا سياسيًا واجتماعيًا وروحياً، يعبر بوضوح تام عن مشروعية الحكم ووحدة الكيان.

وإلى جانب البعد السياسي، اضطلعت الصحراء بدور فاعل في الاقتصاد المغربي عبر شبكات التجارة الصحراوية التي ربطت مدن المغرب الشمالية مثل: فاس الإدريسية، وحمراء مراكش، وتوات، وإيليغ، وتارودانت (المحمدية)، وكلميم، وميناء أكادير، والصويرة (موكادور)، بمراكز التجارة الصحراوية والسودانية، من قبيل: وادان، وشنكيط، وأروان، وتيشيت، وتنبكت، وجني، وكاو، وسانساندينک، وغيرها.

ومن الواضح، أن هذه الشبكات التجارية مثلت جسورًا للتبادل الثقافي والفكري والديني، الأمر الذي عزز من حضور المغرب كفاعل مركزي في بلاد السودان أو ما يعرف بـ "أفريقيا الغربية". كما أسهمت الزوايا والطرق الصوفية في تعزيز هذه الروابط؛ بحيث اضطلعت على سبيل المثال لا الحصر الزاوية الناصرية في تمكروت والزاوية المختارية القادرية وزاوية الشيخ ماء العينين في الصحراء بأدوار مهمة في نشر العلم والمعرفة والثقافة العربية–الإسلامية وترسيخ الوحدة الروحية للمغرب.

والظاهر، في هذا الجانب، أن هذا التمثل الوطني للصحراء تجاوز نطاق الخطاب الرسمي أو السردية السياسية، ليعكس وعيًا جماعيًا امتد عبر القرون، وترسخ في المخيال المغربي باعتبار الصحراء مكونًا لا يتجزأ من الهوية الوطنية، ومن الامتداد الجغرافي والحضاري للمغرب؛ بحيث اضطلعت الصحراء بدور فاعل في تاريخ المغرب السياسي والاقتصادي والثقافي؛ إذ شكلت مسرحًا لتفاعلات السلطة، وامتدادًا طبيعيًا للمجال المغربي، وحافظت على روابط الولاء والبيعة بين السكان والعرش.

ومن البديهي، أن يجعل هذا التمثل الصحراء دومًا حاضرة بقوة في الذاكرة الجماعية المغربية، سواء عبر النصوص التاريخية مثل "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" لأحمد بن خالد الناصري، الذي وثق العلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية في ربوعها، أو عبر الوثائق المخزنية التي تؤكد ممارسة فعلية للسيادة على هذه الأراضي القاصية. كما أسهمت الروايات والممارسات الشفهية والتقاليد المحلية في ترسيخ حضور الصحراء في الوعي الجماعي؛ بحيث عبرت هذه الذاكرة المشتركة عن فهم المجتمع المغربي للصحراء كعنصر أساس في الهوية الوطنية، وموروث حضاري غني، يربط المغرب بمحيطه الأفريقي.

غير أن مرحلة نهاية القرن الميلادي التاسع عشر وبداءة القرن الذي يليه وما شهدته من تزايد الضغوط الاستعمارية على المغرب حملت معها محاولات متعمدة لإعادة صياغة صورة الصحراء المغربية وما إليها وتاريخها بما يخدم مصالح القوى الأوروبية المتربصة، حيث سعت فرنسا وإسبانيا إلى فرض رؤى جديدة، تقدم الصحراء على أنها مجال "مستقل" عن المغرب، أو "أرض خلاء" قابلة للاستيلاء، متجاهلة عمدًا الروابط التاريخية والسياسية والدينية. وتم توظيف أدوات معرفية متعددة لهذا الغرض: من بعثات علمية واستكشافية، ودراسات إثنوغرافية، وأبحاث أنثروبولوجية، وصولًا إلى الخرائط والوثائق الإدارية الاستعمارية.

واعتبرت هذه السرديات المختلفة جزءً من مشروع تقسيمي واسع، استهدف تقويض شرعية المغرب التاريخية على الصحراء، وتبرير معاهدات التقسيم الاستعمارية

مثل اتفاقية 27 يونيو 1900م، بين فرنسا وإسبانيا، الخاصة بتحديد الممتلكات بينهما وغيرها من الترتيبات الاستعمارية.

ومع مرحلة ما بعد الاستعمار، تبنى خصوم الوحدة الترابية للمغرب هذه السرديات الاستعمارية أو أعادوا إنتاجها بصيغ جديدة وماكرة، حيث جرى التركيز على خطاب "الانفصال" و"الهوية المتميزة"، مع توظيف شعارات "تقرير المصير" خارج سياقها التاريخي والقانوني. ومن المفيد الإشارة في هذا المساق، إلى أن خطاب "الخصوم" استعار الكثير من مفردات وأدوات التحليل الكولونيالية، سواء من حيث التركيز على الطابع القبلي والبدوي للمجتمع الصحراوي المغربي، أو من حيث محاولة تصوير المغرب كقوة "وافدة" على المنطقة. وبهذا المعنى، يمكن القول إن هذا الخطاب ليس سوى امتداد مباشر للرؤية الاستعمارية، وإن تغيرت أهدافه وأدواته في السياق الدولي المعاصر.

وفي المقابل، لم يقف المؤرخون والباحثون المغاربة مكتوفي الأيدي؛ بحيث إنهم خاضوا "معركة" علمية ومعرفية كبرى لتفكيك هذه السرديات، مستندين إلى رصيد غني ومتنوع من الوثائق والمصادر؛ فقد اعتمدوا على سجلات البيعة التي تؤكد ولاء القبائل الصحراوية للعرش المغربي عبر مختلف المراحل، وعلى المراسلات السلطانية التي تبين ممارسة فعلية للسلطة من خلال تعيين القضاة والولاة، وعلى الفتاوى الفقهية التي رسخت وحدة المرجعية الدينية والمذهبية.

وإلى جانب ذلك، لجأوا أيضًا إلى الأرشيفات الأجنبية نفسها، حيث تكشف بعض الوثائق الكولونيالية، رغم خلفياتها السياسية والأيدلوجية المعروفة، عن الاعتراف الضمني بمغربية الصحراء وعن صلاتها التاريخية بالمخزن المركزي.

ومما يجدر التذكير به، في هذا المقام، هو أن الكتابة التاريخية الوطنية أسهمت بقدر مهم في إبراز البعد الثقافي والحضاري للصحراء المغربية، من خلال إعادة الاعتبار لدورها في إنتاج المعرفة الدينية والفقهية، واحتضانها لعلماء وزوايا كان لهم إشعاع واسع في مجموع الفضاء المغربي والأفريقي.

ولا يجب أن تجعلنا بعض الكتابات الأجنبية الكولونيالية، التي صورت الصحراء المغربية كمجال للقبائل المتنافسة أو مركزًا للصراعات المحلية، نعتقد بهذا التصور؛ فالصحراء، عكس ما أشارت إليه هذه الكتابات، كانت فضاءً منتجًا للثقافة، وممرًا للعلوم، وحاضنة لأعلام كبار أثروا الحياة الفكرية والدينية في الجنوب المغربي وما إليه (الشيخ محمد المامي بن البخاري المباركي، والشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين، والشيخ أحمد بن الشمس الحاجي، ...، الخ.).

ومن المفيد التأكيد على صعيد آخر، أن المقارنة المباشرة بين التمثلات المغربية والروايات الاستعمارية وحتى ادعاءات الخصوم، تكشف لنا، على نحو واضح، أن الصراع حول منطقة الصحراء المغربية، هو في عمقه صراع سرديات وتصورات ومواقف، ومعركة حامية الوطيس بين الذاكرة والهوية والتاريخ.

وفي الوقت الذي ركز فيه الخطاب المغربي على الاستمرارية التاريخية والشرعية السياسية والعمق الحضاري المشترك، رامت مجمل الروايات الاستعمارية، وما يحدو حذوها، ويقتفي أثرها، أو يسير على نهجها، إلى إحداث قطيعة رمزية ومعرفية بين الصحراء وبقية المغرب، بما يخدم أهداف الهيمنة والتفتيت.

ومن هذا المنطلق، بالخصوص، تتضح أهمية البحث في هذا الموضوع المتشعب والمتشابك، الذي يعد رهانًا استراتيجيًا وعلميًا في الآن ذاته.

- **استراتيجيًا**؛ لأنه يسهم بقدر كبير في تثبيت الذاكرة الوطنية وتعزيز السيادة المغربية على الصحراء؛
- **وعلميًا**؛ لأنه يفرض تطوير أدوات البحث التاريخي والانفتاح على مصادر متعددة، سواء كانت مغربية أو أجنبية، بغاية بناء معرفة رصينة قادرة على مواجهة حملات التشكيك والتحريف.

ومن الأكيد، ههنا، أن الدفاع عن مغربية الصحراء، في هذا الإطار، يتجاوز بكثير حدود القضية السياسية والديبلوماسية ليصبح معركة فكرية وثقافية شاملة، بكل ما تحمل هذه الكلمة وما تستدعيه في أذهاننا من معان؛ فهذه المعركة الفكرية تستند إلى قوة الأدلة التاريخية وصلابة الذاكرة الجماعية، التي توثق ارتباط الصحراء بالمغرب عبر العصور، وتبرز دورها كمكون أصيل في وحدة المغرب الترابية وهويته الوطنية.

المحور الثالث: الإشكالات المنهجية في كتابة تاريخ الصحراء المغربية

يعاني تاريخ الصحراء المغربية من إشكالات عميقة، أبرزها ندرة الوثائق واحتكارها، وضعف دور الدولة في تنظيم الأرشيف واستثماره علميًا، إضافة إلى تغييب بعض المصادر لدواع سياسية؛ وهو ما يجعل كتابة تاريخ موضوعي وشامل مهمة معقدة، تتطلب جهودًا بحثية متواصلة وحثيثة.

أولًا: صعوبات كتابة تاريخ الصحراء المغربية بلا مستندات

تضطلع الدراسات العلمية الرصينة بدور مهم في تطوير البحث التاريخي حول الصحراء المغربية، خصوصًا في ظل تحديات غياب المصادر الأصلية أو صعوبة الوصول إليها، ما يجعل بعض الدراسات عرضة للتأويل والسرديات غير الموثقة.

ولضمان إنتاج معرفة موثوقة، يجب الجمع بين المصادر المكتوبة والشهادات الشفهية، مع إخضاعها للتحليل النقدي الصارم، بعيدًا عن الانحياز والأفكار المسبقة.

وأسهمت الأطاريح الجامعية والأبحاث الجماعية والفردية، المستندة إلى أرشيفات محلية وأجنبية، في إثراء الفهم التاريخي للمنطقة، بينما تبقى بعض الوثائق القيمة الأخرى "محجوزة" أو "غير متاحة"، وسبب ذلك واضح!!!

ومن هنا، تبرز أهمية إنشاء مراكز متخصصة لجمع وترميم وأرشفة الوثائق التاريخية، مع توظيف الرقمنة والتعاون الدولي، لضمان حماية الإرث التاريخي وإنتاج تاريخ علمي موضوعي للصحراء المغربية، قائم على الحقائق والوثائق، لا على الاجتهادات والتأويلات الشخصية أو السرديات الأحادية.

ثانيًا: احتكار الأرصدة الوثائقية المحلية وتداعياتها

يعد احتكار الأرصدة الوثائقية المحلية أحد أبرز التحديات التي تواجه دراسة تاريخ الصحراء المغربية، حيث يكرس رؤية اختزالية تركز على الشخصيات النخبوية وتهمش دينامية كل الفاعلين الاجتماعيين الذين شكلوا ملامح تاريخ المنطقة.

ودفع هذا النقص في المصادر الباحثين إلى الاعتماد على الروايات الشفهية غير الدقيقة أو الأرشيفات الأجنبية، ما أدى أحيانًا إلى تشويه الصورة التاريخية وغياب الموضوعية.

وانطلاقًا من هذا المنظور، تبرز الحاجة إلى فك الاحتكار وإتاحة الوثائق والمخطوطات للمؤسسات الأكاديمية والباحثين، مع الجمع بين المصادر المحلية والأجنبية، وتطبيق النقد والتحليل الموضوعي لكل مادة تاريخية.

ويضمن هذا النهج، إنتاج تاريخ شامل ودقيق للصحراء المغربية، يوازن بين دور الشخصيات والفاعلين الجماعيين، ويستند إلى الأدلة والوثائق بدلًا من الانتقائية والأفكار المسبقة أو الأجندات السياسية.

المحور الرابع: حصيلة البحث المعاصر والراهن في تاريخ الصحراء المغربية وآفاقه

أولًا: البحث التاريخي حول الصحراء المغربية: محاولة في الر صد

إن محاولة رصد الإنتاج المتعلق بتاريخ الصحراء المغربية في الفترة المعاصرة والراهنة، تظل في هذه المرحلة مقاربة جزئية لا تدعي الشمول؛ إذ إن الكتابات الصادرة في هذا المجال كثيرة ومتفرقة، ولا يتيسر للباحث الاطلاع عليها كاملة، حتى بالنسبة للمتخصصين.

وعليه، فإن ما نقدمه هنا ليس سوى حصيلة أولية محدودة، نعي تمامًا ما يشوبها من ثغرات ونقائص، بحكم طبيعة البحث الفردي الذي يصعب أن يستقصي كل العناوين المنشورة.

ومما لا شك فيه، أن هذا العمل يحتاج إلى تضافر جهود الباحثين وتعاونهم؛ لأن كل واحد منهم أدرى بمسار أعماله وأماكن نشرها، وهو ما من شأنه أن يثري أي محاولة جماعية لاحقة لتحقيق الإحاطة المطلوبة.

ر. ت.	اسم المؤلف	عنوان الكتاب ودار النشر	الطبعة وسنة الصدور
1	محمد الغربي	الساقية الحمراء ووادي الذهب، الجزء الأول منشورات دار الكتاب-الدار البيضاء	ط.1، 1975
2	محمد بن عزوز حكيم	السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية منشورات مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر-الدار البيضاء	ط.1، 1981
3	محمد صدوق أبيه	الصحراء المغربية قبل الاحتلال وبعده مطبعة فضالة-المحمدية	ط.1، 1989
4	محمد سالم بن لحبيب بن الحسين بن عبد الحي - تحقيق وتقديم: مصطفى ناعمي	جوامع المهمات في أمور الرقيبات منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي-الرباط	ط.1، 1992
5	مجموعة من الباحثين	مجلة المناهل، العدد 49، عدد خاص، الصحراء المغربية: فكر وإبداع منشورات وزارة الثقافة المغربية-الرباط	ط.1، 1995
6	حمداتي شبهنا ماء العينين	الشيخ ماء العينين وجهاده العلمي والوطني مطبعة المعارف الجديدة-الرباط	ط.1، 1995
7	مجموعة من الباحثين	جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية مطبعة المعارف الجديدة-الرباط	ط.1، 1997
8	حمداتي شبهنا ماء العينين	قبائل الصحراء المغربية: أصولها، جهادها، ثقافتها المطبعة الملكية-الرباط	ط.1، 1998
9	محمد دحمان	إسماعيل ولد الباردي مطبعة المعارف الجديدة-الرباط	ط.1، 1999

10	مجموعة من الباحثين - تنسيق: حسن بنحليمة	واحات واد نون: بوابة الصحراء المغربية منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-أكادير	ط.1، 1999
11	مجموعة من الباحثين تنسيق: عمر المراكشي	الصحراء المغربية من خلال التراث والتاريخ مطبعة فضالة-المحمدية	ط.1، 2000
12	مجموعة من الباحثين - تنسيق: عمر أفا	الصحراء وسوس من خلال الوثائق والمخطوطات: التواصل والآفاق منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط	ط.1، 2001
13	مجموعة من الباحثين تنسيق: عبد النبي ذاكر ومحمد ناجي بنعمر	السمارة: الحاضرة الروحية والجهادية للصحراء المغربية منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-أكادير	ط.2، 2002
14	مجموعة من الباحثين	ثقافة الصحراء: مقوماتها المغربية وخصوصيتها مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية-الرباط	ط.1، 2002
15	رحال بوبريك	المدينة في المجتمع البداوة: التاريخ الاجتماعي لولاتة خلال القرنين 18 و19 منشورات معهد الدراسات الأفريقية-الرباط	ط.1، 2002
16	مجموعة من الباحثين تنسيق: محمد الجيلاني لعبد	أعلام من الصحراء المغربية إصدارات زاوية ومحضرة محمد بن محمد سالم وادي الذهب	ط.1، 2002
17	مجموعة من الباحثين تنسيق: عمر المراكشي	مغربية الصحراء في الخطاب التاريخي والأدبي مطبعة دار المناهل-الرباط	ط.1، 2002
18	مجموعة من الباحثين	جهة وادي الذهب-لكويرة: المقومات التاريخية والثقافية والبنيات الاقتصادية والاجتماعية منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير-الرباط	ط.1، 2003
19	ماء العينين بن العتيق تحقيق: محمد الظريف	الرحلة المعينية 1938 دار السويدي للنشر والتوزيع -أبو ظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت	ط.1، 2004
20	محمد البغدادي	الصحراء المغربية بين الماضي والحاضر: والحلول المقترح للنزاع الصحراوي، مع نصوص ووثائق واحالات فيدبرانت-الرباط	ط.1، 2005

21	محمد دحمان	الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب مطبعة كوثر برانت-الرباط	ط.1، 2006
22	أنخيلا إيرناندیث ترجمة: ماء العينين مربيه ربه	حرب أعلام في الصحراء: محنة إسبانيا في الصحراء مطبعة بني ازناسن-سلا	ط.1، 2006
23	محمد دحمان	إبراهيم ولد ميشان مطبعة المعارف الجديدة-الرباط	ط.1، 2007
24	إدريس نقوري	قبيلة آيت لحسن: القبيلة، التاريخ، المواقف مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء	ط.1، 2007
25	نور الدين بلحداد	التسرب الإسباني إلى شواطئ الصحراء المغربية (1860-1934) منشورات معهد الدراسات الأفريقية-الرباط	ط.1، 2008
26	إدريس نقوري	الشرفاء الرقيبات: دراسات أناسية تاريخية اجتماعية مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء	ط.1، 2009
27	محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي تخريج وتعليق: محمد حجي	الرحلة الحجازية منشورات دار الغرب الإسلامي-تونس	ط.2، 2009
28	ماريانو سانت نافارو تعريب: ماء العينين مربيه ربه	رحلة إلى الصحراء الغربية: البادية مطبعة المعارف الجديدة-الرباط	ط.1، 2009
29	مجموعة من الباحثين تنسيق: رحال بوبريك	مدخل إلى تاريخ الصحراء الأطلنتية دار أبي رقراق للطباعة والنشر-الرباط	ط.1، 2010
30	الحسين باتا	لمحات عن تاريخ قبيلة أولاد بوعشرة دار نشر إعلاميات مطبعة ملك-سطات	ط.1، 2010
31	مونية رحيمي	نزاع الصحراء في إطار السياسة الخارجية الأمريكية المطبعة السريعة-القنيطرة	ط.1، 2010
32	الشيخ ماء العينين تحقيق: ماء العينين مربيه ربه	الرحلة الحجازية مطبعة المعارف الجديدة-الرباط	ط.1، 2010
33	رحال بوبريك	دراسات صحراوية: المجتمع والسلطة والدين دار أبي رقراق للطباعة والنشر-الرباط	ط.1، 2010

34	الطالب أخيار بن الشيخ ماء العينين	الشيخ ماء العينين: علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي، جزءان مطبعة المعارف الجديدة-الرباط	ط.2، 2011
35	مجموعة من الباحثين تنسيق: عبد الكريم مدون	البنيات الاجتماعية والاقتصادية بالصحراء دار أبي رقراق للطباعة والنشر-الرباط	ط.1، 2011
36	محمد بوزنكاض	دراسة في التاريخ الاجتماعي للصحراء الأطلسية ما بين القرنين 17 و20 المطبعة والوراقة الوطنية-مراكش	ط.1، 2012
37	رحال بوبريك	زمن القبيلة: السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي دار أبي رقراق للطباعة والنشر-الرباط	ط.1، 2012
38	مجموعة من الباحثين تنسيق: محمد بوزنكاض	حاضرة آسا: عمق التاريخ وغنى الذاكرة المطبعة والوراقة الوطنية-مراكش	ط.1، 2012
39	بهيجة سيمو	الصحراء المغربية من خلال الوثائق الملكية المطبعة الملكية-الرباط	ط.1، 2012
40	محمد بوزنكاض	التأريخ وقضايا الكتابة التاريخية بالصحراء الأطلنتية المطبعة والوراقة الوطنية-مراكش	ط.1، 2012
41	محمد دحمان	دينامية القبيلة الصحراوية في المغارب بين الترحال والإقامة: دراسة سوسيو-أنثروبولوجية حول أولاد بالسباع مطبعة طوب بريس-الرباط	ط.1، 2012
42	فانسان مونتاي ترجمة: هيبتن الحيرش	تقييدات حول تكنة المطبعة والوراقة الوطنية-مراكش	ط.1، 2012
43	الشيخ محمد الإمام - تحقيق: محمد الظريف	الجأش الربيط في الدفاع عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط مطبعة المعارف الجديدة-الرباط	ط.1، 2013
44	الحسين حديدي	الحياة الفكرية والروحية بالمجال البيضاني خلال القرنين 18 و19م مركز الدراسات الصحراوية-الرباط	ط.1، 2014
45	محمد بوزنكاض	التواصل بين بلاد البيضان والمشرق العربي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين مركز الدراسات الصحراوية-الرباط	ط.1، 2014

46	إدريس نقوري	قبيلة أزوافيط: مجاهدة وإصرار مطبعة النجاح الجديدة-الدا البيضاء	ط.1، 2014
47	الشيخ محمد المامي بن البخاري الباركي - تحقيق وتقديم: زاوية الشيخ المامي	كتاب البادية ونصوص أخرى مركز الدراسات الصحراوية-الرباط	ط.2، 2014
48	أحمد تانضافت	التسرب الأوروبي بالسواحل الأطلسية الجنوبية للمغرب 1836-1895م منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير-الرباط	ط.1، 2014
49	مجموعة من الباحثين - تنسيق: رحال بوبريك	التراث الصحراوي: التاريخ والذاكرة دار النشر ملتقى الطرق-الرباط	ط.1، 2014
50	محمد دحمان	الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الإسبانية 1885-1933 مطبعة طوب بريس-الدار البيضاء	ط.1، 2014
51	نور الدين بلحداد	الشيخ ماء العينين: النائب السلطاني على الأقاليم الجنوبية (1879-1894)	ط.1، 2014
52	الطالب أحمد بن اطوير الجنة - تحقيق: محمد الظريف	رحلة المنى والمنَة مطبعة المعارف الجديدة-الرباط	ط.1، 2014
53	محمد دحمان	سيدي إفني الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الإسبانية 1934-1950 مطابع الرباط نت-الرباط	ط.1، 2015
54	محمد شرايبي	المدن الصحراوية: النشأة والتطور مطبعة طوب بريس-الرباط	ط.1، 2015
55	إدريس أبو إدريس	الصحراء المغربية: مقالات في التاريخ والسياسة مطبعة وراقة سجلماسة-مكناس	ط.1، 2015
56	ماء العينين النعمة علي	أعلام من الصحراء وسوس مطبعة الأمنية-الرباط	ط.1، 2015
57	ماء العينين النعمة علي	جوانب من ثقافة الصحراء مطبعة الأمنية-الرباط	ط.1، 2015

58	كاميل دولز - ترجمة: حسن الطالب	خمسة أشهر لدى البيضان في الصحراء الغربية مركز الدراسات الصحراوية-الرباط	ط.1، 2015
59	خالد بن الصغير	طرفاية: المخزن ومحطة مكنزي التجارية برأس جوبي 1876-1895 مركز الدراسات الصحراوية-الرباط	ط.1، 2015
60	مجموعة من الباحثين تنسيق: الوافي نوحي	الأمازيغ والمجال الصحراوي عبر التاريخ منشورات المعهد المالكي للثقافة الأمازيغية-الرباط	ط.1، 2015
61	مجموعة من الباحثين -نسيق: سمير بوزويتة وآخرون	مغرب الصحراء: سرديات الذاكرة ورهانات الحاضر منشورات مختبر التراث، دراسة صيانة وإنقاذ-فاس	ط.1، 2015
62	مجموعة من الباحثين تنسيق: محمد بوزنكاض	الصحراء في العلاقات المغربية الإفريقية مركز الدراسات الصحراوية-الرباط	ط.1، 2015
63	عبد الحميد فائز	الحرب في المجتمعات الرعوية: آليات إنتاج العنف في المجتمع البيضاني قبل الاستعمار مركز الدراسات الصحراوية-الرباط	ط.1، 2015
64	الشيخ محمد إبراهيم ابن الشيخ ماء العينين تحقيق: ماء العينين مربيه ربه	رفع الحرج وتيسير الحج: رحلة حجية 1350هـ مطبعة المعارف الجديدة-الرباط	ط.1، 2015
65	محمد سبى	إسبانيا والصحراء 1934-1975: دراسة تاريخية واجتماعية مركز الدراسات الصحراوية-الرباط	ط.1، 2015
66	مجموعة من الباحثين تنسيق: محمد الصافي	أسرة أهل بيروك مطبعة طوب بريس-الرباط	ط.1، 2016
67	عبد الله أيت شعيب	مغربية الصحراء: دلائل وحقائق مطبعة لينا-الرباط	ط.1، 2016
68	محمد الصافي	واد نون خلال القرن 19: مساهمة في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي من خلال وثائق محلية منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير-الرباط	ط.2، 2016
69	سمير بوزويتة	بيعات أهل الصحراء المغربية للسلاطين والملوك العلويين منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-الرباط	ط.1، 2016

70	نور الدين بلحداد	السلطان مولاي الحسن الأول والسيادة المغربية على الأقاليم الجنوبية 1873-1894م منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير-الرباط	ط.2، 2016
71	محمد الظريف	جوانب من ثقافة الصحراء دار أبي رقراق للطباعة والنشر-الرباط	ط.1، 2016
72	مصطفى ناعمي	الصحراء من خلال بلاد تكنة: تاريخ العلاقات التجارية والسياسية منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي-الرباط	ط.2، 2017
73	مجموعة من الباحثين تنسيق: محمد شرايمي	الصحراء: الإنسان والمجال مطبعة الحمامة-تطوان	ط.1، 2017
74	هنري بيير بيران هيبتن الحيرش	مقامي بأسا: محكي حي المطبعة والوراقة الوطنية-مراكش	ط.1، 2017
75	محمد سبى	الصحراء بعيون إسبانية: رحلات واستكشافات 1864-1914 مطابع الرباط نت-الرباط	ط.1، 2017
76	محمد سالم بن الحبيب بن الحسين بن عبد الحي تحقيق: محمد دحمان	تقييد في نسب وأيام قبيلة الرقيبات مطابع الرباط نت-الرباط	ط.1، 2017
77	الصالح العلاوي	العيون وأحوازها إبان الوجود الاستعماري الإسباني 1934-1975 مطبعة أم هداية-القنيطرة	ط.1، 2017
78	شغالي حريش	القبيلة والسلطة: مقدمة في التاريخ السياسي للصحراء مركز الدراسات الصحراوية-الرباط	ط.1، 2017
79	نور الدين بلحداد	فرنسا وقبائل الركّيبات: من سياسة التطويع إلى سياسة الإحراق والتجويع (1900-1934) منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير-الرباط	ط.1، 2018
80	زينب مبسوط	الإنسان والماء في الصحراء المغربية الأطلنتية المطبعة والوراقة الوطنية-مراكش	ط.1، 2018

81	محمد أيتجمال	الرحلات الاستكشافية الفرنسية إلى واد نون خلال القرن التاسع عشر: تقاطعات التاريخ والرحلة منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير-الرباط	ط.1، 2018
82	محمد بوزنكاض	الفقيه والمجتمع: مشروعية العالم في التاريخ الاجتماعي والسياسي للصحراء الأطلنتية المطبعة والوراقة الوطنية-مراكش	ط.1، 2018
83	الحسان منصوري	جوانب من تاريخ الهجرة من منطقة واد نون إلى أوروبا ما بين 1960-2010م مطبعة شمس برانت-الرباط	ط.1، 2018
84	بيدرو غوميز مورينو ترجمة: أحمد صابر	آبار الصحراء إدكّل للطباعة والنشر-الرباط	ط.1، 2018
85	مجموعة من الباحثين تنسيق: المهدي الغالي ولطيفة شراس	طرفاية: تاريخ ومجال منشورات جامعة ابن زهر-أكّادير	ط.1، 2019
86	مجموعة من الباحثين تقديم: محمد دحمان	دراسات حول الصحراء: التراث والاقتصاد والمجتمع مطابع الرباط نت-الرباط	ط.1، 2019
87	خوليو كارو باروخا ترجمة: أحمد صابر	دراسات صحراوية مطبعة البيضاوي-الدار البيضاء	ط.1، 2019
88	عبد الهادي المدن	خلق الثروة: استراتيجية بيروك لتنمية التجارة الصحراوية مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع-الرباط	ط.1، 2020
89	محمد أيتجمال	الأوبئة والمجاعات بسوس وواد نون (ما بين 1900م و1945م): التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للجنوب المغربي دار أبي رقراق للطباعة والنشر-الرباط	ط.1، 2020
90	توماس غارسيا فيكّيراس ترجمة: محمد سبى	سانتا كروث دي مار بيكينيا: إيفني والصحراء، السياسات الإسبانية في الساحل الغربي لإفريقيا مطابع الرباط نت-الرباط	ط.1، 2021

91	خوسي ماريا ليزونديا ترجمة: عبد الرحمان لعوينة	الصحراء: أفول الشمولية منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير-الرباط	ط.1، 2021
92	مجموعة من الباحثين تنسيق: علال الزهواني وآخرون	الترافع الديبلوماسي الموازي لمغاربة العالم حول الصحراء المغربية منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير-الرباط	ط.1، 2021
93	مجموعة من الباحثين تنسيق: عبد الكريم مدون وآخرون	المغرب في إفريقيا: الصحراء المغربية وقضايا الهجرة منشورات جامعة ابن زهر-أگادير	ط.1، 2021
94	مجموعة من الباحثين عبداتي الشمسدي ومحمد الزهي	المكون الثقافي الحساني في امتداداته المغربية-الأفريقية منشورات المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير-الرباط	ط.1، 2022
95	خواكين كاساربيگو راميريث ترجمة: عبد الله أعطار	مشروع العيون: بنية المجال الحضري إبان التواجد الإسباني بالصحراء منشورات المدرسة العليا للتكنولوجيا-العيون	ط.1، 2022
96	حسن باري	القبيلة الصحراوية بين الثابت والمتحول: دراسة سوسيو-أنثروبولوجية حول قبيلة يگوت منشورات دار الأمان-الرباط	ط.1، 2022
97	مجموعة من الباحثين - تنسيق: سعاد مسكين	الرحلات الأوروبية إلى الصحراء المغربية: بيبليوغرافيا وأعلام منشورات المدرسة العليا للأساتذة-مارتيل	ط.1، 2022
98	مجموعة من الباحثين - تنسيق: مصطفى الحمري وآخرون	المباني التاريخية بجهة العيون الساقية الحمراء: الواقع والآفاق منشورات المديرية الجهوية لقطاع الثقافة بجهة العيون الساقية الحمراء-العيون	ط.1، 2022
99	مجموعة من الباحثين - تنسيق: سعاد مسكين	الصحراء المغربية في الرحلات الأوروبية: البنيات والأنساق منشورات المدرسة العليا للأساتذة-مارتيل	ط.1، 2023
100	أنخلا هيرنانديس مرينو - ترجمة: خالد الرامي	بداية التواجد الإسباني في الجنوب المغربي: دراسة في وثائق من الأرشيف الإسباني منشورات جامعة القاضي عياض-مراكش	ط.1، 2023

101	مجموعة من الباحثين - تنسيق: سعاد مسكين	الصحراء المغربية في الأدب والفنون البصرية منشورات المدرسة العليا للأساتذة-مارتيل	ط.1، 2023
102	عبد الحي بن سيد أحمد بن علال البربوشي الركّيبي - تحقيق: عادل بن محمد جاهل	تقييد في تاريخ صحراء الساقية الحمراء ووادي الذهب وبلاد شنقيط مطبعة سومي برانت-أكّادير	ط.1، 2023
103	محمد جبار	أشكال التواصل في لتراث الثقافي الحساني بمنطقة تيرس-وادي الذهب: دراسة أنثروبولوجية مطبعة الكرامة-الرباط	ط.1، 2023
104	مجموعة من الباحثين - تنسيق: محمد بوزنكاض وأحمد كين	الصحراء في التاريخ الوطني: مغربية الصحراء من خلال الأرشيفات الأجنبية والوطنية والذاكرة منشورات المركز الوطني للبحث العلمي والتقني بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار-الرباط، وجامعة ابن زهر-أكّادير	ط.1، 2024
105	مجموعة من الباحثين - الإشراف والتنسيق: عادل بن محمد جاهل	قراءات في الرحلة: من وإلى الصحراء وبلاد السودان منشورات دار آربثيريا للنشر والتوزيع-الخرطوم/السودان	ط.1، 2024
106	عادل بن محمد جاهل	التاريخ الاجتماعي والديموغرافي للصحراء المغربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين: دراسة في الأرشيف الإسباني[4]	ط.1، 2025 قيد الطبع
107	خوليو سيربيرا - ترجمة: بوزيد لغلى	من وادي الذهب إلى أدرار: محكي الرحلة الاستكشافية 1886م دار بصمة لصناعة الكتاب	ط.1، 2025

4 – أطروحة حصلت على "جائزة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية" لأفضل أطروحة جامعية ذات صلة بالفضاء المغاربي والغرب الإسلامي وامتداداتها التاريخية والثقافية والجغرافية، دورة 2024م– 2025م.

توزيع العناوين حسب مواضيعها	
الموضوع ونوعية البحث	**عدد العناوين**
التاريخ العام	27
التاريخ الديني والفكري والثقافي	6
التاريخ الاجتماعي والديموغرافي	1
التاريخ الاقتصادي	2
التاريخ العمراني	3
التاريخ السياسي	5
العلاقات الخارجية	3
التحقيق	9
الترجمة	13
مونوغرافيات القبائل	5
التراجم	7
المواضيع المعتمدة على وثائق أو مصادر أو تعرف بهما	14
خارج التصنيف	2

توزيع العناوين حسب سنوات النشر			
السنوات	العدد	السنوات	العدد
1975م	01	2009م	03
1981م	01	2010م	05
1989م	01	2011م	02
1992م	01	2012م	07
1995م	02	2013م	01
1997م	01	2014م	09
1998م	01	2015م	13
1999م	02	2016م	06
2000م	01	2017م	06
2001م	01	2018م	06
2002م	05	2019م	03
2003م	01	2020م	02
2004م	01	2021م	04
2005م	01	2022م	05
2006م	03	2023م	05
2007م	02	2024م	01
2008	01	2025م	01

تسمح قراءة معطيات هذا الجدول البيبليوغرافي أعلاه، بالخروج بمجموعة من الملاحظات المهمة، التي تكشف عن سمات واضحة في الإنتاج العلمي، حول موضوع الصحراء المغربية، وتشمل هذه الملاحظات ما يلي:

أولًا: حصيلة إحصائية أولية

يضم هذا الجدول ما يزيد على 107 عنوانًا موزعة على فترة زمنية تقارب نصف قرن (1975م 2025–م)؛ وهو يمثل بجلاء خزانًا معرفيًا غنيًا ومتنوعًا حول منطقة الصحراء المغربية.

ولا يقف هذا الرصيد عند حدود الكم، ولكن يتجاوزه إلى الكيف من خلال تداخل وتكامل عدة مقاربات علمية، تتراوح بين التحليل التاريخي الذي يوثق للأحداث والوقائع والفاعلين، والمقاربات الأنثروبولوجية التي تسلط الضوء على البنى الاجتماعية والعادات والأنساق الثقافية للمجتمع الصحراوي، إلى جانب الدراسات السوسيولوجية التي تفكك علاقات القوة والتراتبية داخل الحقل الاجتماعي، فضلًا عن الكتابات السياسية التي تنشغل بقضايا السيادة والشرعية والاعتراف الدولي، وكذلك الأبحاث التراثية والثقافية التي تهتم بالذاكرة الجماعية والممارسات الرمزية والشفهية.

وأهم ما يميز هذه البيبليوغرافيا الأولية، أنها بمثابة سجل تاريخي يعبر عن دينامية الفكر المغربي في مقاربة قضية الصحراء؛ فهي تظهر كيف تطورت الكتابة العلمية من نصوص ذات طابع "وصفي" أو "دفاعي" في العقود الأولى، إلى دراسات تحليلية أكثر عمقًا ورصانةً، تستحضر مناهج مقارنة، وتفتح نقاشًا معرفيًا مع مدارس بحثية متعددة.

كما تدل هذه البيبليوغرافيا الارتباط الوثيق بين مسار البحث العلمي والتحولات الكبرى التي عرفها السياق السياسي والفكري، حيث ترافق إنتاجها مع مراحل دقيقة من تاريخ الصحراء المغربية، سواء تعلق الأمر بمرحلة استكمال الوحدة الترابية، أو بمحاولات فرض أطروحات مناوئة، أو بتحولات النظام الدولي نفسه بعد الحرب الباردة وصعود قضايا حقوق الإنسان والتنمية والاندماج الإقليمي.

ومن ثم، فإن قيمة هذا التراكم المعرفي تكمن في قدرته على أن يكون مرجعا منهجيا وبيبليوغرافيا يتيح للباحثين فرصة قراءة الاتجاهات العامة للكتابة الأكاديمية وغير الأكاديمية، ورصد التطورات التي عرفتها المفاهيم والمناهج، وفهم كيف تفاعل البحث التاريخي والاجتماعي والسياسي مع الإكراهات الميدانية والرهانات الوطنية والدولية.

والحال، أن هذه البيبليوغرافيا، في نهاية المطاف، تعتبر شاهدًا حيًا على مسار نصف قرن من التفكير والبحث التاريخي، وعلى صيرورة معرفية متشابكة، جعلت من

الصحراء المغربية فضاءً مهمًا لإنتاج المعرفة، وإعادة طرح الأسئلة الكبرى حول الهوية والسيادة والتاريخ.

1: التوزيع الزمني للإصدارات

1-1: مرحلة التأسيس والرد على الكتابات الاستعمارية (1975م– 1989م)

- عدد محدود من الأعمال (3 عناوين بارزة)، أغلبها فردية؛
- يغلب عليها الطابع السياسي/القانوني؛
- هدفها إثبات مغربية الصحراء في مواجهة أطروحات الخصوم، مؤلفات مثل: الساقية الحمراء ووادي الذهب (محمد الغربي 1975م) والسيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية (محمد ابن عزوز حكيم، 1981م).

2-1: مرحلة الانفتاح الأكاديمي الأولي (1990م– 1999م)

- انفتاح الجامعة على البحث في تاريخ الصحراء المغربية؛
- ظهور تحقيقات مخطوطات محلية نادرة (جوامع المهمات 1992م)، وصدور أعداد خاصة من مجلات (المناهل 1995م)؛
- حضور متنامي لأعمال جماعية منسقة، ما يدل على وعي جماعي بأهمية المقاربة الأكاديمية.

3-1: مرحلة النضج والتعدد (2000م– 2010م)

- طفرة ملحوظة (أزيد من 20 عملًا)؛
- توسع دائرة البحث إلى مجالات جديدة: القبيلة، والعمران، والبنيات الاقتصادية، والتراث المخطوط؛
- الاهتمام بعلاقة الصحراء المغربية بمحيطها (سوس، وحوض وادي نون، وأفريقيا جنوب الصحراء)؛
- طغيان الإنتاج الجامعي والمراكز البحثية.

4-1: مرحلة التخصص والتنوع (2011م– 2020م)

- وفرة في الإصدارات (قرابة 40 عملًا)؛
- بحوث متخصصة: التاريخ الاجتماعي، وتاريخ الهجرة، والتراث الحساني، والدراسات الأناسية، والمخطوطات؛

• حضور قوي للتحقيق والترجمة، ما يثري البحث بمصادر أصيلة وخريدة وجديدة؛

• تنامي الاهتمام بالتراث الوثائقي (وثائق مخزنية، وأرصدة محلية، وأرشيفات إسپانية وفرنسية).

5-1: مرحلة الانفتاح المعرفي والعولمة الأكاديمية (2021م– 2025م)

• الإنتاج يتجاوز الطابع الوطني ليأخذ بعدًا متوسطيًا وأفريقيًا؛

• التركيز على: الدبلوماسية الموازية، وقضايا الهجرة، والتاريخ الديموغرافي، والرِّحْلات الأوروپية؛

• ارتفاع عدد الإصدارات الجماعية المنسقة، وهو دليل على التشبيك البحثي والمؤسساتي؛

• بروز أسماء جديدة (محمد بوزنكاض، ومحمد سبى، وعبد الهادي المدن، ومحمد الصافي، وعادل بن محمد جاهل)، واستمرار حضور أسماء راسخة (نور الدين بلحداد، ومصطفى ناعمي، ورحال بوبريك، ومحمد دحمان).

2: طبيعة المؤلفين والمقاربات

2-1: الإسهامات الفردية

• باحثون متخصصون مثل: نور الدين بلحداد، ورحال بوبريك، ومحمد دحمان، ومصطفى ناعمي، ومحمد بوزنكاض، وعادل بن محمد جاهل)؛

• اشتغلوا على قضايا وموضوعات دقيقة: القبيلة، والسلطة، والدين، والمخطوطات، والذاكرة؛

• يمثلون العمود الفقري للإنتاج الأكاديمي.

2-2: الأعمال الجماعية المنسقة

• اتسعت منذ التسعينات وصارت ركيزة أساسية؛

• تعكس تنامي البحث المؤسساتي (مراكز دراسات، وجامعات، ووزارة الثقافة)؛

• مثال: الصحراء المغربية من خلال التراث والتاريخ (2000م)، السمارة (2002م)، المغرب في أفريقيا (2021م).

2-3: التحقيقات والترجمات

• أعادت إحياء مصادر محلية: رحلة المنى والمنّة، والرحلة المعينية، ورحلة الشيخ ماء العينين الحجازية، وكتاب البادية...، الخ؛

• جلبت مصادر أوروبية/إسبانية/فرنسية للواجهة: خمسة أشهر لدى البيضان، وسانتا كروث دي مار بيكينيا...، الخ؛

• كل هذه الأعمال وغيرها أسهمت في بناء ذاكرة تاريخية متعددة الأبعاد.

2-4: البعد المنهجي

• تطور تدريجي من المنهج الكلاسيكي التوثيقي الصرف إلى المناهج متعددة التخصصات؛

• تعزيز البحث بالمصادر التاريخية الأجنبية (ترجمات أوروبية متنوعة، وأرشيف إسباني، ووثائق فرنسية)؛

• العمل الجماعي والمنسق أصبح نهجًا سائدًا منذ التسعينات، مع تنوع المشاركين من باحثين وأكاديميين ومحققين.

2-5: الموضوعات الكبرى

2-5-1: السيادة والهوية الوطنية

• مؤلفات تؤكد مغربية الصحراء عبر الوثائق والبيعة (محمد ابن عزو حكيم، وعبد الله أيت شعيب، ونور الدين بلحداد، وبهيجة سيمو، وسمير بوزويتة)؛

• خط يواكب تطورات النزاع السياسي "المفتعل".

2-5-2: القبيلة والبنية الاجتماعية

• دراسة دقيقة للقبائل الصحراوية: أيت لحسن، والركيبات، وأزوافيط، ويكوت؛

• التركيز على التنظيم الاجتماعي، والسلطة المحلية، والدور السياسي، والممارسات الثقافية.

2-5-3: الأعلام والرموز الدينية

• الشيخ ماء العينين وأبناؤه وأهل بيروك محور رئيس لعدة مؤلفات فردية وجماعية؛

• الأعلام الصوفية والعلمية حاضرة بقوة باعتبارها عنصرًا فعالًا لهوية الصحراء المغربية.

2-5-4: العمران والمجال

• إصدار كتب عن السمارة، وحوض وادي نون، وطرفاية، والعيون؛

• إبراز البعد "الحضري" في مقابل صورة "البداوة الخالصة".

2-5-5: التراث والذاكرة الثقافية

• من الثقافة الحسانية إلى الأدب والفنون البصرية؛

• إعادة الاعتبار للمكون الحساني كمكون مغربي أصيل.

2-5-6: البعد الخارجي/المتوسطي والأفريقي

• علاقات الصحراء المغربية مع المشرق وأفريقيا جنوب الصحراء؛

• إدماج قضايا الهجرة، والترافع الديبلوماسي، والحضور الأفريقي للمغرب.

ثانيًا: آفاق البحث في تاريخ الصحراء المغربية المعاصرة

تشكل آفاق البحث المستقبلية ميدانًا غنيًا بالفرص لتطوير المعرفة حول تاريخ وهوية الصحراء المغربية. ويمكن تلخيص أبرز هذه الآفاق كما يلي:

1: التوسع في الدراسات الميدانية

من الضروري تعزيز البحوث الميدانية التي تشمل مسوحات اجتماعية وأنثروبولوجية معمقة في مختلف المناطق الصحراوية.

والحال، أن هذه الدراسات تسعى إلى التعرف على التقاليد القبلية، وأنماط العيش، والعلاقات الاجتماعية، بالإضافة إلى دراسة الهوية المحلية وتطوراتها عبر الزمن.

وتساعد هذه المقاربات على الحصول على رؤية دقيقة لمجتمعات كانت في الماضي بعيدًا عن الأضواء التاريخية.

2: التحقيق الرقمي للأرشيفات

لا ريب أن رقمنة الوثائق والمخطوطات المحلية تعد خطوة أساسية لتسهيل الوصول إليها وتحليلها بطريقة منهجية وعلمية.

وبالمثل، تتيح التقنيات الرقمية الحديثة فهرسة أكبر للأرشيفات، وتوفر أدوات للبحث السريع، وربط الوثائق ببعضها؛ وهو ما يسهم إلى حد كبير في بناء قاعدة معرفية قوية لدراسة التاريخ الصحراوي المغربي المعاصر.

3: الاهتمام بالتاريخ المقارن

غني عن البيان أن ربط تاريخ الصحراء المغربية بتاريخ الصحراء الكبرى والمغرب الكبير وأفريقيا الغربية سيفتح آفاقا جديدة لفهم الخصوصيات المحلية والتأثيرات المتبادلة بين هذه المجتمعات؛ بحيث ستساعد المقاربة المقارنة على تبيان الاختلافات الثقافية والاجتماعية والسياسية، وتضع تاريخ الصحراء المغربية في سياق أوسع يبرز أبعادها الإقليمية والدولية.

4: المقاربة متعددة التخصصات

يزداد وضوح الحاجة إلى دمج مختلف التخصصات العلمية من قبيل: التاريخ، والاقتصاد، والاجتماع، والثقافة، والفنون؛ بغاية تقديم صورة شاملة عن المجتمع الصحراوي المعاصر.

ولا شك، أن هذه المقاربة ستسمح بفهم العلاقات المعقدة بين البنى الاقتصادية، والأنماط الاجتماعية، والتعبيرات الثقافية، والسياسات الإقليمية، وتقديم تحليلات أكثر عمقًا وشمولية.

5: دراسة الهجرة والاقتصاد السياسي والديموغرافيا

من الضروري دراسة أثر التحولات الحديثة على الهجرة الداخلية والخارجية، والتجارة، والتنمية، والسياسات الإقليمية.

ولا مرية، أن هذه الدراسات ستكشف كيفية تأثير الديناميات الاقتصادية والسياسية على السكان المحليين، وعلى استراتيجيات البقاء والتكيف لديهم، وكذلك على إعادة تشكيل الهويات الثقافية والاجتماعية والديموغرافية.

6: توظيف الأدوات التكنولوجية الحديثة

يمكن أن تسهم الأدوات التكنولوجية المتاحة الآن مثل نظم المعلومات الجغرافية، والتحليل الكمي للوثائق، والوسائط الرقمية في توثيق ودراسة التطورات الحضارية والثقافية.

ويبدو أن هذه الأدوات ستفيد لا محالة في رصد مجمل التطورات المكانية، وتحليل البيانات التاريخية والاجتماعية بكفاءة عالية، وإنتاج خرائط وبيانات مرئية تسهل الفهم والتواصل العلمي حول مجال الصحراء المغربية.

تجميع وتركيب:

يتضح في ختام هذه القراءة الأولية للدراسات التاريخية المكتوبة بالعربية حول مجال الصحراء المغربية خلال الفترتين المعاصرة والراهنة، أن هذه البحوث المتوافرة تعتبر إرثًا معرفيًا من الأهمية بمكان حيث إنه يعبر عن ذلكم الاهتمام الأكاديمي بالبعد التاريخي والثقافي والاجتماعي لهذه المنطقة، وتبرز الجهود المبذولة لتوثيق التجارب الحياتية والسياسية والاقتصادية للسكان المحليين على مر العقود.

ورغم أن الوصول إلى الإصدارات التاريخية حول هذه المرحلة يواجه صعوبات وإكراهات متعددة، سواء بسبب ندرتها وتشتتها في عدة أماكن، وكذلك بسبب نفادها في المكتبات، فإن الحصيلة الحالية تكشف عن تنوع المقاربات المعتمدة، بدءً من التوثيق التاريخي للمعالم والأحداث البارزة، مرورًا بالدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية التي تركز على البنية الاجتماعية والعادات والتقاليد، ووصولًا إلى التحليلات السياسية والاستراتيجية المتعلقة بمكانة الصحراء المغربية في السياق الوطني والإقليمي.

كما تشير هذه القراءة إلى وجود فجوات معرفية مهمة، خاصة فيما يتعلق بالتاريخ الديموغرافي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي المحلي، وهو ما يفتح آفاقًا واعدة للبحث المستقبلي، من خلال تطوير الدراسات الميدانية الموسعة، واستغلال التكنولوجيا الرقمية الحديثة في رقمنة الأرشيفات والمخطوطات وتحليلها، إضافة إلى إجراء المقارنات الإقليمية لفهم ديناميات التغير التاريخي في الصحراء المغربية ضمن السياق الأشمل لشمال أفريقيا وبلاد السودان الغربي.

وهكذا، فإن هذه الدراسات التاريخية تمثل منصة معرفية أساسية تساعد الباحثين على فهم أعمق لهوية الصحراء المغربية، ودورها في التاريخ المعاصر والراهن، كما تتيح استشراف آفاق التنمية البحثية المستقبلية، بما يعزز من الإمكانيات الجامعية والنقدية في معالجة القضايا التاريخية والاجتماعية والثقافية لهذه المنطقة.